مصطفى محمود



لماذا رفضت الماركسية؟

مصطفى محمود

لماذا رفضت الماركسية؟



دار المعارف

الفصل الأول

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

لماذا رفضت الماركسية؟

حينما بدأت أكتب فى الخمسينات كانت الماركسية هى موضة الشباب الثائر فى ذلك الوقت.. وكنا نقرأ منشوراتها فى نهم فتحرك مثالياتنا بما تعد به من فردوس أرضى وعدالة ورخاء وغذاء وكساء للعامل والفلاح ومحاربة للاقطاع والاستغلال وتحرير للجماهير الكادحة.

وكانت موسكو تبدو لنا فى ذلك الحين الكعبة الأم لهذا الدين الجديد الذى يشع بالخير والرفاهية لكل من يدور فى فلكه

وكانت أول صحوة لنا من ذلك الحلم حينما سافرنا إلى الخارج ورأينا الخراب والبؤس والوجوه الكئيبة المتجهمة فى المجر ورومانيا وألمانيا وكافة البلاد الشرقية التى تجرى فى هذا الفلك.

وبحثنا عن الرخاء والرفاهية والحرية والفردوس الأرضى فلم نجد له أثرا

وكانت الصدمة الثانية الأعظم حينما فتح خرشوف ملف ستالين وأعلن على رءوس الأشهاد المظالم التى ارتكبها ستالين والملايين من العمال والفلاحين والمثقفين الذين قتلهم فى السجون والمعتقلات وأعدمهم بالرشاشات وألقاهم للموت فى جليد سيبيريا وأسلمهم لآلات التعذيب بين يدى الجلاد الرهيب بريا.

ويومها قالوا لنا.. إنه التطبيق..

الذنب فى التطبيق السيئ.. ولكن النظرية بريئة مبرأة من هذا كله.

واحتاج الأمر منى إلى سنوات من القراءة والدراسة والعكوف على المجلدات الأصلية للمذهب لكى أكتشف أن الفساد ليس فى التطبيق ولكن الفساد فى المذهب نفسه وأن تلك الأفكار الثورية لم تكن أكثر من تحشيد وتحريض ودفع لكتل الجماهير نحو ثأر تاريخى يخرج العالم من ظلم ليلقى به فى ظلم أفدح وأشمل وأعم.

يقول ماركس بأن التاريخ عبارة عن تنازع مصالح مادية ويرى أن التاريخ يتحرك إلى الأمام بدفع من الصراع الطبقى بين السادة والعبيد.. وكلما تغيرت أساليب الإنتاج تغير معها شكل المجتمع وحضارته وفنونه.

جاء المجتمع الزراعى فجاء معه بفنونه وآدابه وتقاليده

وأديانه وكانت وظيفة هذه الأديان هى الحفاظ على مصالح السادة الإقطاعيين. ثم جاء عصر الصناعة والبخار فجاء معه بفنون وأفكار وأخلاقيات جديدة تحفظ للسادة امتيازاتهم.. ثم تطور العلم وتطورت معه أساليب الإنتاج وجاء الأوان أخيرا ليقلب العمال نظام العالم ويأتون بأفكارهم وأخلاقياتهم ودينهم (الشيوعية) الذى يكتسحون به الأديان المتخلفة الموجودة ويقودون العالم إلى مجتمع لا طبقى يمتاز بالوفرة فى كل شئ، ويعمل فيه كل فرد على قدر طاقته ويأخذ على قدر حاجته بلا ظلم وبلا استغلال.

وكانت وسيلة ماركس إلى ذلك تأميم وسائل الإنتاج وانفراد طبقة العمال بالديكتاتورية والسلطة.

ولا يرى ماركس أثرا لأى عوامل أو قوى غيبيه أو إرادة إلهية وراء هذه العوامل المادية تؤثر فى التاريخ.. وما الله فى نظر ماركس إلا الصنم الذى أقامته البورجوازية لتخدع به الطبقة العاملة وتشغلها بالسجود والركوع بين يديه انتظارا لفردوس وهمى بعد الموت لتخلو لهم الدنيا يستمتعون بثمراتها كما يشاءون دون خوف أن ينازعهم العمال امتيازاتهم.. فما الدين فى الحقيقة إلا مخدر الفقراء وأفيون الشعوب والحشيش الذى يغيبون به العقول كلما أوشكت أن تصحو وتنفجر على ثورة.

ولهذا جعل ماركس القضاء على الأديان على رأس مخططه

وبدأت الثورة البلشفية بهدم المساجد والكنائس وإحراق الأناجيل والمصاحف واعتقال رجال الدين وإلغاء التربية الدينية من المدارس وتدريس الإلحاد والماركسية كمادة إجبارية للأطفال والكبار.

وقد وقع ماركس فى عدة أخطاء قاتلة كانت كفيلة فى النهاية بالقضاء على نظريته.

أولا: اعتمد ماركس فى استنباط نظريته عن التاريخ على بعض مراحل تاريخية دون الأخرى.. فكان ينتقى من التاريخ ما يوافق هواه ويهمل ما يناقض فكره.. ومن هنا لا يصح أن تكون للقوانين التى استخرجها صفة الإطلاق على التاريخ كله ولا تصدق عليها صفة القوانين وإنما هى فى الحقيقة تلفيقات

وأقوى البراهين على ذلك هى نشأة الإسلام فلم يكن الإسلام قط من إفراز النظام الطبقى فى قريش، ولم يكن دينا رجعيا يحفظ للظالمين المستبدين أموالهم وامتيازاتهم، ولم يكن مخدرا للفقراء دافعا لهم على قبول فقرهم، فقد دعا الإسلام إلى التمتع بالحياة فى اعتدال ودعا إلى قتال الظالمين المستغلين.

ولم يأت الإسلام نتيجة انقلاب مناظر فى نظام الإنتاج وعلاقات الإنتاج فى قريش.. وإنما جاء كظاهرة فوقية مستقلة عن البيئة.

فقد جاء الإسلام من البداية مقررا المساواة فى الفرص وضمان حق الكفاية للمواطن وتحقيق التوازن الاقتصادى بين الفرد والمجتمع وجاء بمبدأ الملكية الخاصة والملكية العامة ومبدأ الاقتصاد الحر الموجه.. وجاء بكل ذلك فى الجزيرة العربية فى وقت لم تكن ظروف الإنتاج وعلاقات الإنتاج تدعو إليه بحيث يمكن أن نقول إن ما حدث كان انبثاقا من واقع اقتصادى.. وتحدى بذلك منطق الماركسية التاريخى وحساباتها المادية التى تحتم انبثاق كل انقلاب سياسى من انقلاب مناظر فى الإنتاج وعلاقاته.

ثانيا: وقع الفكر الماركسى فى تناقض أساسى بين كونه فكرا يدعو إلى التضحية والبذل من أجل الآخرين وبين كونه فكرا محروما من الحافز الدينى والمبدأ الروحى.. والدين كما هو معلوم يمد الإنسان بأعظم طاقة ليضحى ويبذل بلا حدود وعن طيب خاطر.

وهكذا أصبحت الماركسية تطالب بالنقاء الثورى والتضحية والولاء ثم تجعل هذه الأخلاقيات مستحيلة بالفكر والنظرية (بحكم مادية النظر إلى الأشياء).

وهكذا تصور الماركسيون الماديون أن ثلاث وجبات دسمة يمكن أن تكون [illegible] كافيا لإنسان يعلم أنه ولد ليموت.. إنسان كتب عليه أن يتألم وحده.. ويشيخ وحده.. ويموت وحده.. وتصوروا أن الولاء يمكن أن يشترى بالمرتب والمكافأة

إن لم يشتر بالخوف من قطع العيش.. وكان هذا وهما كبيرا.

وإنها كلمة قديمة جدا.. «إنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان».. وإننا إذا كنا نولد لنموت فإن الدين الذى يقدم لنا حياة مطلقة وبعثا وخلودا هو أمر لا يمكن شطبه بجرة قلم ولا يمكن محاربته بخزعبلات نظرية

وقد وجد ستالين نفسه أمام هذا التناقض الذى لا حل له حينما هجم الجيش النازى على روسيا وبلغ أبواب ستالينجراد.. فقد رأى الفلاح الروسى يقف متخاذلا لا يعرف لماذا يحارب ولماذا يموت ولا بعث بعد الموت ولا جنة ولا تكريم لشهيد..

لقد سلبت منه الشيوعية الجنة وسرقت منه الخلود فلم يعد يتحمس لشىء.

ولم يجد ستالين بدا من أن يعود فيبنى الكنائس ويفتح المساجد ليحيى القلوب التى ماتت.

وتغيرت التعليمات لكل الخلايا الشيوعية.. وجاءت الأوامر الجديدة.

لا تذكروا الدين بسوء.. ولا تتعرضوا لله.. ولا تناقشوا فى الغيبيات.. وإذا سئلتم فى ذلك فقولوا: هى مسائل غير مطروحة.. وليس هذا أوانها.

ولم تنفع هذه الاستراتيجية الجديدة فى علاج الشكوك التى تحركت فى الصدور.

وعاد أنبياء الكرملين فاجتمعوا وانفضوا.

ثم عادوا فأصدروا تعليمات جديدة.. وسمعنا عن بعثات حج روسية تخرج من موسكو إلى مكة.. وسمعنا عن مفتٍ إسلامى يفتى فى روسيا البلشفية.

ولبس بعض الماركسيين طرحة إسلامية.

ولم ينفع هذا الصلح الانتهازى مع الدين.

ولكنه كشف للماركسيين أنفسهم عن ثغرة فى نظريتهم لا حل لها.

ثالثا: ذلك العامل الاقتصادى الواحد الذى جعل منه ماركس إلها تصدر عنه كل الأشياء وسببا وحيدا تتداعى من ورائه كل التغيرات التاريخيه والحضارية فيما يسميه بالتفسير المادى للتاريخ.

هذه الفكرة سقطت علميا والرأى السائد الآن أنه فى ميدان الظواهر الاجتماعية لا يوجد سبب واحد مستقل منفصل وفاعل يولد النتائج والظواهر الثانوية وإنما هناك عوامل متعددة تؤثر فى بعضها تأثيرات متقابلة.. فالعامل الجوهرى اليوم يمكن أن يصبح عاملا ثانويا فى الغد.

والعامل الاقتصادى بهذا لا يصلح أن يكون إلها تصدر عنه الأشياء وإنما هناك العامل القومى والنفسى والعنصرى والعقائدى يمكن أن تشكل التاريخ بأقوى مما يشكله العامل الاقتصادى.. وبين الصين وروسيا صراع سوف يشكل التاريخ ومع ذلك فهو ليس صراعا طبقيا ولا اقتصاديا، فالدولتان كلتاهما شيوعية وبقيادة البروليتاريا.

رابعا: كانت دكتاتورية البروليتاريا انتقالا بالمجتمع من ظلم طبقى إلى ظلم طبقى آخر.. وكانت استبدالا للاستغلال الموجود باستغلال آخر أشمل وأسوأ وأعم.. فقد جاء الحزب الحاكم الجديد وجاء معه بزبانية مراكز القوى ليسجنوا ويعتقلوا ويظلموا ويستبدوا للحفاظ على امتياز الذين تميزوا وسلطان الذين تسلطوا.. وهكذا نقلوا المجتمع من طغيان إلى طغيان أفدح وأشاعوا مناخا من الرعب والصمت الرهيب والخرس الذى قطعت فيه الألسن وكسرت الأقلام وكممت الأفواه .. فالصحف جميعا ملك للسادة الجالسين فى مراكز القوى وسياط الرقابة مسلطة على الجميع.

وهذه أمور جربناها واحترقنا بنارها ونعرف تماما ماذا تعنى.

وكان ماركس مبالغا أشد المبالغة فى تلك الهالة الأسطورية التى أضفاها على البروليتاريا (طبقة العمال) فى كلامه عن نقاء البروليتاريا وطهارة البروليتاريا وكأنها شعب الله المختار أو

جنس آخر قادم من المريخ.. ونسى أن العامل والمثقف ومالك الأرض هم غالبا أفراد أسرة واحدة.

وقد أقام ماركس نظريته على ظروف القرن التاسع عشر الصناعية المتخلفة حيث العامل بدوى كادح مطحون مسحوق لا يكاد يجد لقمته.. ولم يتصور ما ستحدثه ثورة العلم والتكنولوجيا فى القرن العشرين حيث العامل رجل مرفه يجلس أمام أزرار وآلات إلكترونية ومن ورائه نقابات عمالية وقوانين للتأمين ضد العجز والشيخوخة والمرض تحفظ له حقه.

ثم ها نحن أولاء، نرى أمامنا الطبقة العاملة نفسها تنشق إلى طبقتين متناقضتين نتيجة تفاوت الدخول هما العمال المؤهلون والعمال غير المؤهلين تنتج عنها فئة أرستقراطية وفئة شعبية من العمال أنفسهم.

والنتيجة كانت انفصال الفكر الماركسى عن واقع القرن الذى نعيشه ورجعيته وتخلفه قياسا إلى ظروف عصرنا.

خامسا: هذا التعسف المنهجى الذى اتسمت به الماركسية وإصرارها على أن تكون فكرا شموليا يجيب عن كل شىء ويبتكر الحل لكل معضلة ويفتح كل باب ويجاوب على كل سؤال. ثم ادعاؤها لحتمية قوانينها.. مع أنه من الأمور المعلومة أنه لا حتمية فى الأمور الإنسانية.. لأن الناس ليسوا جمادات مثل كرات البلياردو ولا هم آلات صماء كتروس الساعات يمكن حساب حركاتها والقول بحتميتها والتنبؤ بها.



كارل ماركس

(عام ١٨٧٥)
أخطأ فى كل تنبؤاته

ولهذا أخطأ ماركس فى جميع تنبؤاته.. فقال بخروج الشيوعية من مجتمع صناعى رأسمالى متقدم مثل إنجلترا وألمانيا فكذب التاريخ نبوءته وخرجت الشيوعية من بلد زراعى متخلف كالصين.

وتنبأ باتساع هوة الخلاف بين البورجوازية والبروليتاريا فى الدول الرأسمالية بشكل مطرد إلى أن يتفاقم الوضع إلى ثورة تقلب العالم كله، ولكن ما حدث فى المجتمعات الرأسمالية كان العكس وهو مزيد من التقارب بين الطبقات عقب سلسلة من الإجراءات الإصلاحية والأنشطة النقابية فى حين انطلق الصراع وتفاقم بين دول العالم الاشتراكى نفسه مثل الصراع بين روسيا والصين.

وتنبأ ماركس بازدياد تمركز رءوس الأموال فى احتكارات هائلة يزداد معها غنى الأغنياء وفقر الفقراء ولكن الذى حدث كان اتجاها إلى تفتيت رءوس الأموال. عن طريق الشركات المساهمة وتفتيت الملكيات الزراعية من تلقاء نفسها بالميراث.

وتنبأ ماركس بالأزمة الاقتصادية الماحقة التى تسحق النظام الرأسمالى بسبب ازدياد إجمالى الإنتاج عن معدل الطلب والقدرة الشرائية نتيجة فقر العمال المدقع.. ولكن الملاحظ إلى الآن أن كل أزمات الرأسمالية ذات طابع عرضى.

وأخطأ ماركس فى نظريته عن فائض القيمة وقال بأن أجر

العامل فى النظام الرأسمالى يتحدد على أساس الحد الأدنى اللازم لمعيشته.. ولكن الواقع كذب هذه التقديرات بفضل التشريعات الجديدة والتعديلات التى أدخلها النظام الرأسمالى على نفسه فارتفع أجر العامل فى دول أوربية كثيرة إلى مستوى رخاء ملحوظ سبق به زميله فى الدول الاشتراكية.

وحاولت الماركسية أن تحمى نفسها بالتعصب وإطلاق الشعارات وادعاء العلمية والتقدمية واتهام المخالفين فى أخلاقهم فهم خونة ورجعيون متعفنون، فأصبح الشيوعى مثلا للجمود والتزمت وضيق الأفق والتبعية فى الرأى والصلافة والغلظة.

سادسا : أدى التأميم الشامل حيثما طبق وفى أى بلد إلى هبوط فى الانتاج وإلى كارثة اقتصادية.

وقال خرشوف كلمته الشهيرة إن البقرة التى يملكها صاحبها تدر من اللبن أكثر من البقرة التى تملكها الدولة.. هادما بذلك كل فلسفة ماركس فى التأميم والملكية الاشتراكية.

وكان التأميم يجر وراءه اللامبالاة والإهمال والكسل والبيروقراطية وسوء الإنتاج.

وأمام خطر البيروقراطية الذى استشرى فى كل البلاد الاشتراكية راح أنبياء الكرملين يجتمعون وينفضون ويقدحون الأذهان ثم خرجوا علينا بفلسفة الحوافز.

ولكن الحوافز لم تفعل شيئا.. بل كانت نوعا من الرشوة أدت إلى طمع من يأخذ وحقد من لا يأخذ.. ثم إلى مزيد من الصراعات واستمرار فى هبوط الإنتاج.

ورأينا روسيا التى تملك أكبر حقول القمح فى أوكرانيا تطلب القمح من أمريكا وتفتح بلادها للمصانع الأمريكية ولفروع البنوك الأمريكية.

بعد أن نزعوا ملكية المواطن الروسى سمحوا بالملكية والاستثمار لرأس المال الأمريكى.

نهاية أشبه بالنكتة.

وقد كان التأميم محكوما عليه بالفشل من البداية.. وكان الفساد فى المبدأ وليس فى التطبيق لأنه مضاد للفطرة.

والحضارة من فكر وفن وصناعة هى فى النهاية ثمرة ملكات أفراد ومواهب وتطلعات أفراد.. وإذا حرمنا تلك الملكات مجالها الحر وسجناها فى ديوان موظفين تعمل فى روتين وآلية بلا طموح انتهت إلى العقم والكسل والبلادة.

ثم إن نظام التأميم يسد كل أبواب الرزق ولا يبقى للناس إلا باب التوظيف بالحكومة وبذلك لا تعود هناك وسيلة لضمان اللقمة سوى النفاق للحاكم والتملق للرؤساء والانتهازية والشللية والتبليغ والتخابر والتجسس والعمالة، وبذلك يتحول المجتمع تلقائيا إلى غابة من الناس يأكل بعضهم بعضا.

والعامل وقد رأى أمامه أباطرة المال وقياصرة الأرض يعرون عن أملاكهم بكل سهولة ويطردون أصبح يشعر بأن هيبة كل كبير قد سقطت نهائيا، فهو يتحول بغريزته دون أن يدرى إلى من هو فوقه يحاول أن يسحب منه الكرسى ليقفز مكانه.

والصراع الطبقى بين الفلاح وصاحب الأرض وبين العامل وصاحب العمل وقد وجد فرصته ـ ينتشر كما تنتشر النار فى الهشيم فيتحول إلى منطق يحكم المجتمع كله، فإذا بكل من هو أدنى ينظر فى تربص إلى كل من هو أعلى فيتمزق المجتمع إلى ملايين يطعن بعضهم بعضا وينقسم الكل إلى جبهات متقاتلة متباغضة، سكان وأصحاب مساكن محررين ورؤساء تحرير.. عساكر وضباط.. موظفين ومديرين.. خدام ومخدومين.. كل مرءوس يتحين الفرصة ليطعن رئيسه ويحل محله بحق أو بغير حق .. فإن ما حدث فى القمة قد أعطى المثل للقاعدة وتلقفته الأحقاد لينتشر فى حرب داخلية صامتة تستنزف الموارد لآخر مليم فى مكائد ورشاوى وسرقات واختلاسات لا آخر لها.

يقول تروتسكى وهو أحد أنبياء الاشتراكية:

إن بين شكوى الفرد وطموحه وضعا نفسيا فيه الكثير من كوامن الحقد.. والحقد هو أسهل معاول الصراع الطبقى.

هذا هو كلام تروتسكى، وهو اعتراف صريح بشرعية الحقد

عند هؤلاء المخربين وشرعية استخدامه لقلب المجتمع.

وهذا هو ما أشار إليه الرئيس السادات فى كلمته التاريخية حينما قال:

- لقد ترك لى عبد الناصر تركة من الحقد لا أجد لها إلى الآن حلا.

ثم إن التأميم الذى انتزع المصانع من يد خمسة أو ستة رأسماليين مستغلين قد سلمها إلى مائة ألف لص فى المؤسسات والجمعيات التعاونية ينهبونها.

والمنتج الرأسمالى كان على الأقل أستاذا فى مهنته وكان بدافع مصلحته يتفنن ويبتكر ويبدع ويعطى المستهلك أقصى إجادة ليحصل على أقصى ربح.. أما المائة ألف لص فى المؤسسات والجمعيات التعاونية فلا علم لهم بالحرفة وهم لا يبتكرون ولا يبدعون ولا يعملون ولا يعطون.. وإنما كل همهم هو التسابق على النهب والسلب.. والنتيجة هى الكارثة الاقتصادية التى وقع فيها كل من طبق التأميم على نطاق واسع.

هذه إذن هى الماركسية ولم يكن ما حدث من مظالم فى البلاد الشيوعية سببه عيوب فى التطبيق.. بل كان العيب فى صلب النظرية ذاتها.

وقد انتهت الماركسية من العالم كفكر.

ولكن الماركسيين فى بلادنا وقد كسدت بضاعتهم عادوا إلى التسلل بأساليب أخرى. هذه المرة بوجوه إسلامية ولغة إسلامية محاولين ركوب الموجة الدينية وتلفيق حلف بين الماركسيين والاسلام.

ورأينا خالد محيى الدين يضع نيشان لينين على صدره ومصحف محمد فى يده.. ويكتب مقالا طويلا غريبا فى روز اليوسف عن الماركسى المسلم يقول فيه بالحرف الواحد:

«ولماذا لا نضيف إلى الماركسية بعدا روحيا»

ناسيا بذلك أنه يفترى على ماركس فى قبره ويفترى على محمد فى مثواه وأنه يزيف لنا الاثنين فى نفس الوقت.

وماذا يقول خالد فيما كتبه زعماؤه فى كتبهم.

ماذا يقول فى كلمة لينين القاطعة.

إننا لا نؤمن بالله ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسة والإقطاعيين والبورجوازيين لا يخاطبوننا باسم الله إلا استغلالا.

لينين

الدستور والأخلاق والدين خدعة بورجوازية تتستر من ورائها البورجوازية من أجل مطامعها.

المانفستو الشيوعى

الفكر لم يخلق المادة وإنما المادة هى التى خلقت الفكر.

إنجلز

العالم يتطور تبعا لقوانين المادة وهو ليس بحاجة إلى أى عقل كلى.

ستالين (المادية الجدلية)

كيف سيصنع لنا خالد محيى الدين من هذه الماركسية المادية الملحدة ومن الإسلام الصافى العذب المؤمن تركيبا منطقيا.. - وكل من المذهبين يرفض الآخر كلية.

كيف يصنع من الإيمان والإنكار رجلا إلا أن يكون رجلا متناقضا مصابا بانفصام الشخصية لا يصلح لشىء.

وإذا سلخ من المذهب ماديته وإلحاده فإنه سيفترى على ماركس إذا سمى ما تبقى فى يده من فكر مسلوخ.. ماركسية.

ثم ما الداعى لكل هذا الاعتساف والافتعال والتمسك بفلسفة هو نفسه يكذبها ويلعنها كل يوم خمس مرات فى صلواته.

كيف يلعن هذه الفلسفة على السجادة ثم يعود فيروجها بين الجماهير.

وألف سؤال وسؤال دار فى ذهنى وأنا أقرأ هذا المقال الغريب.



ستالين
قتل الملايين فى السجون

والظاهر أن الاخ خالد محيى الدين قد خلا إلى نفسه وأعاد النظر ثم وجد أن الاستمرار فى هذه النغمة لن يجدى.. فعاد فأعلن أنه ليس ماركسيا وأنه لا يعتنق الماركسية وإنما هو يفكر تفكيرا مستقلا ويحاول أن ينتقى من أفكار ماركس وتراثه ما يصلح، نابذا ومستبعدا كل ما هو إلحادى وكل ما هو فاسد.

ولا أدرى ماذا بقى صالحا من أفكار ماركس وقد استعرضناها بندا بندا.

وقد انتهت الماركسية كفكر من العالم ولم تبق منها إلا شعارات تهييج وتحريض يتداولها المخربون فى الدول النامية لأغراض معروفة.

والذين يؤمنون بالماركسية فى مصر هم شباب لا يقرءون ولا يتابعون ما يجرى فى الدنيا.

والقائلون بأن الماركسية نجحت وانتشرت.. أقول لهم نعم انتشرت ولكن كيف.. كتحشيد وتعبئة لثأر قديم وغل حمله الأحفاد عن الآباء عن الأجداد يطحنونه تحت أضراسهم حتى وجد من ينظمه ويوزع عليه السلاح.

نجحت الفكرة كانتقام وتنفيس عن أحقاد مكبوتة ونجحت كتحشيد عسكرى مادى تكنولوجى.

ولكن ألم تنجح اليابان فى الخروج من دمار القنبلة الذرية ومن الهزيمة الكاملة إلى ذروة القوة الاقتصادية بفضل نظام

رأسمالى يرى الماركسيون أنفسهم أنه نظام خاطئ؟

إن نجاح فكرة لا يعنى دائما صوابها.. فقد تنتشر الأفكار الخاطئة لمجرد أنها تلقى ترحيبا من غرائز الناس وأهوائهم.. وما أسهل تحريض الجياع على الشبعانين.

ثم إن النجاح فى جانب لا يعنى النجاح فى كل جانب. فقد تنجح الثورة فى بناء مصنع ثم تفشل فى بناء إنسان..

ثم ما حاجتنا إلى ترقيع حضارتنا وشخصيتنا العربية الأصيلة بالأجنبى والمستورد من حضارات عقمت وفشلت وشاخت وهى بعد فى ميلادها.

وما معنى هذا المنبر المصنوع من ألف رقعة ورقعة.. رقعة إسلامية مع رقعة ماركسية مع رقعة لينينية، مع رقعة ناصرية مع رقعة تيتوية.

إلى متى هذا الضياع..

وإذا كان خالد مسلما حقا فلماذا لا يصغى إلى صوت الإسلام العذب الصافى ويأخذ من نبعه ويستمد من مدده الذى لا يكف عن الفيض والعطاء ويصغى إلى الرب الكريم الواحد، ولا يشرك معه هؤلاء النكرات الذين أنكروه وسبوا أنبياءه وحرفوا كتبه.

ماذا يقول لنا الإسلام..

إن الإسلام لا يتملق الكثرة.. ولا يحرك كتل الفلاحين ليضرب بها الملاك، ولا يحرك كتل العمال ليضرب بها الطلبة وأصحاب الأعمال.. ولا يداهن الأغلبية بل يذمها لأنها على جهل.

(أكثر الناس لا يعلمون) [٢١ - يوسف]

(أكثر الناس لا يؤمنون) [٥٩ - غافر]

(بل أكثرهم لا يعقلون) [٦٣ - العنكبوت]

(إن يتبعون إلا الظن) [١١٦ - الأنعام]

(إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل) [٤٤ - الفرقان]

(لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون)
[٧ - يس]

(فأبى أكثر الناس إلا كفورا) [٨٩ - الإسراء]

(وما وجدنا لأكثرهم من عهد إن وجدنا أكثرهم لفاسقين)
[١٠٢ - الأعراف]

(وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله)
[١١٦ - الأنعام]

(وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغنى من الحق شيئا)
[٣٦ - يونس]

(بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون)
[٧٠ - المؤمنون]

الأغلبية دائما عبيد هوى. ولذلك فهى أسهل استدراجا إلى الباطل.. ولو أن محمدا بدأ الدعوة إلى الاسلام باستفتاء شعبى فى مكة.. أيهما تعبدون: الله الواحد، أم الاصنام؟ لجاءت النتيجة ٩٩,٩٪ مع الأصنام ولمات الإسلام يوم مولده.

وقديما أجمعت الأغلبية على إعدام سقراط وحرق برونو وسجن غاليليو.

فالأغلبية هى الغوغاء.. ولا يتملق الغوغاء إلا الغوغائيون وأهل المذاهب الغوغائية مثل إخواننا الماركسيين الذين يصرخون هاتفين فى الأبواق، ويرفعون لافتات الشعب والجماهير والكادحين والمطحونين والمسحوقين والجياع والعمال والفلاحين.

وهذا هو الفرق بين الإسلام وبين هذه العقائد الغوغائية.. فالإسلام يخاطب العقل ويناشد الصفوة ويضع أهل العلم وقادة الثقافة فى مقدمة العربة الاجتماعية.

«خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام إذا فقهوا».

«حديث شريف»

ويندب هذه الصفوة المنتخبة للقيادة والريادة.

أما الماركسيون فيحركون كتل الغوغاء ويتملقون كثرة العمال والفلاحين وينادونهم بالطليعة وصناع التاريخ وبناة المستقبل، لا عن صدق وإقتناع ولكن عن انتهازية ليستعملوهم فى عمليات التهييج والتحريض.. يضربون بهم كتل المجتمع بعضها ببعض ويهددون كل فئة بالأخرى ويشغلون الكل بالصراع الطبقى المدمر ليسلم لهم مربع السلطة الذى يجلسون عليه يديرون منه عمليات المذابح ويملئون المعتقلات باسم الحرية والتقدمية ومصلحة الجماهير ويخفون مخططهم الدموى فى ضوضاء المسيرات الشبابية وطنين الأغانى الشعبية وضجيج الإذاعات وصراخ الشعارات فى محاولة مستمر لإثارة غريزة القطيع وتحشيد الجماهير فى مواجهة أى معارضة.

وهذه هى واجهة العصر السياسية.

همجية منظمة.. وغوغائية ظاهرها علمانى خادع.

الصراع الطبقى يسمونه عدالة.

والحقد يسمونه إنسانية والجهالة يسمونها علما.

والرجعية تقدما.

والاعتقالات والأساليب البوليسية تحريرا.

ثم المثقفون يضربون بالعمال.. والملاك يضربون بالفلاحين،



لينين

نحن لا نؤمن بالله

والأغنياء بالفقراء، والرءوس الكبيرة بالرءوس الصغيرة.. ليصفو الأمر فى النهاية لفئة وطبقة جديدة تملك وتحكم وتستبد وتتسلط باسم الحزب والنظرية وتستمتع بما لم يستمتع به رأسمالى أو إقطاعى.. وقد صدقت عليهم كلمة «المعرى»:

إنمـــا هـــذه المـــذاهب أســـباب
لجـــلب الـــدنيا إلـــى الرؤســـاء

فهى انتهازية جديدة وإن لبست مسوح العلـم ورفعـت شعارات التقدم وتكلمت باسم الكادحين.

والإسلام احترم الكادح واحترم الفلاح وأشاد بـالعامل المخلص..

ألم يكن داود النبى حدادا.. وإدريس النبى خياطا.. ونـوح النبى نجارا.. ومحمد النبى الخاتم عليه صلوات الله وسـلامه راعيا للغنم؟.

والعامل والطالب والمثقف والفلاح يخرجون من أسرة واحدة وهم أب وابن وأخ وعم وخال..

والفقر والغنى حالات تتداول على الناس كلهم.. غنى اليوم كان فقير الأمس أو كان ابنا لفقيـر الأمس.. فلمـاذا نضرب الناس بالناس ونحرض الناس على الناس.. ونشعل الأحقـاد ونثير الفتن.

أين هذا الحقد الأسود من بساطة الإسلام ونقائه. الإسلام الذى افتتح آياته بالعلم:

(اقرأ باسم ربك).

[١ ـ العلق]

ثم قرن العلم بالعمل:

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم)

[١٠٥ ـ التوبة]

وشرط نجاح العمل بصلاح النية وإيمان القلب:

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية)

[٧ ـ البينة]

وجعل الوسيلة إلى العدل الاجتماعى تراحما وتعاونا وترابطا وليس تصارعا وتناحرا طبقيا:

(إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم)

[١٠ ـ الحجرات]

وجعل حرية الفرد وكرامته وأمنه وحياته حقا أوليـا.. مـن اغتال هذه الحق فقد اغتال الإنسانية كلها:

(من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتـل الناس جميعا، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا)

[٣٢ ـ المائدة]

وجعل نصيب الفقير فى عنق الغنى حقا لا صدقة:

(فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم)

[٢٤ ـ المعارج]

وجعل من حق الحاكم أن يجبى هذه الأموال زكاة ثم ضرائب إضافية إذا دعت الحاجة دونما مساس بالملكية الفردية، ودون مصادرة لنشاط الفرد مادام لا يخالف شرعا ولا يضر بمصلحة.

بهذا الدستور البسيط المحكم سبق الإسلام جميع النظم التى جاءت بعده من رأسمالية إلى شيوعية إلى اشتراكية كما سبق ميثاق حقوق الانسان.. وكان أول صيحة تحرير متكاملة لروح الإنسان وجسده منذ أربعة عشر قرنا.

وهذا هو ديننا.. دين العلم والعدل والحرية.

فما حاجتنا إلى هذا التخليط والترقيع.

وكيف تقف أيها الرفيق خالد بين يدى الله فتهتف له وتهتف لأعدائه فى نفس الوقت.

ثم ما هذه الحيلة الجديدة التى ترفعون فيها المصاحف على أسنة المانفستو.. وتعلنون الإسلام.. وتتاجرون باسمه.. وتسبحون لله ولمنكريه.

ثم نكتة هذا العصر.. وأضحوكة هذا الزمان: المنظمة

الإسلامية الماركسية!

ولو كان ماركس حيا، لاستلقى على قفاه من الضحك على هذه المنظمة ولبكى غما على ما جرى له ولفلسفته.

ألم يعد للماركسية أمل فى حياة دون أن تتمسح هذا التمسح الانتهازى بالإسلام، ودون أن تتوسل هذا التوسل الذليل بأعداء الأمس؟

أليس هذا أكبر دليل على أنها ماتت كفكر مع موت صاحبها من أمد طويل؟!

الفصل الثانى

خالد محيى الدين يرد على د. مصطفى محمود

نحن لا نلعن الماركسية على السجادة

أصبحت الماركسية فى مصر حصان طروادة الذى يركبه الجميع حيلة وخداعا، كما أصبحت كبش الفداء لما يحدث فى واقعنا، والشماعة التى يعلق عليها أعداء التقدم مآسى الناس. وكأنها أيضا الأخطبوط الذى يتم تحذير الناس منه إبقاء على الأوضاع السيئة والتى تحتاج للتغير ورفضا لتوعية الناس وتفكيرهم فى أوضاعهم الاجتماعية باسم الدين والوطنية.. مع أن الماركسيين كما يدعى أعداؤهم لا يزيد عددهم على خمسمائة أو الألف إلا أن هؤلاء هم الخطر الأكبر على مستقبل الـ ٤٠ مليون مصرى. وهم المسئولون عن ازدياد الأسعار وزيادة التفاوت فى الدخول وسوء استخدام السلطة برغم أنهم ليسوا فى السلطة ولم يكونوا فيها أبدا.

صفحات كاملة فى أخبار اليوم للهجوم على الماركسية وإثبات فشلها ونهايتها فى كل مكان وإذا كان الأمر كذلك

والماركسية فى طريقها إلى الفشل والتراجع فى كل مكان فلماذا هذه الحملة الشديدة عليها وتبصير الناس بأخطارها، وهى النظرية التى ثبت فشلها فى التطبيق والممارسة والحياة وهى فى طريقها نحو الانحلال والذبول..

ولماذا الهجوم الضارى على تنظيمنا واتهامه بالماركسية مع أنه نبع من المؤسسات الدستورية لثورة التصحيح وأعلن الرئيس أنور السادات أنه تنظيم شرعى يسير على النقاط الثلاث: الوحدة الوطنية واستمرار التحول الاشتراكى والسلام الاجتماعى، واطلع ٥٦٠ عضوا من مجلس الشعب واللجنة المركزية على برنامجه وأقروا قيامه وممارسة نشاطه بأغلبية ساحقة.

بدأت الحملات من قلة معروفة من رجال الدين والصحفيين ثم انتهت بالكتاب المرموقين وآخرها مقال الدكتور مصطفى محمود.

إنجاز كامل

والدكتور مصطفى محمود عرف فى أوساط الكتاب طوال السنوات الماضية بإلحاده الشديد ولم يعرف يوما بأنه ماركسى ثم هداه الله إلى الإيمان وكان حماسه للإيمان فياضا تسمعه فى الإذاعة وتقرأ له فى الصحافة فقلنا خيرا، وإذا به أخيرا ينزلق إلى معركة الصراع الاجتماعى وينحاز بوضوح كامل إلى جانب

الرأسمالية والطفيلية المصرية والعالمية وضد كل أنواع التاميم وينادى بالاقتصاد الحر. والغريب أنه ربط هذا الاتجاه بالدين الإسلامى..

وهجوم الدكتور مصطفى محمود على الماركسية والبلاد الاشتراكية كنظرية وتطبيق ليس الموضوع الرئيسى الذى سوف أتناوله فى الرد، فبرغم السطحية الشديدة فى كتابات الدكتور مصطفى محمود عن الماركسية والتطبيق الاشتراكى فى البلاد الاشتراكية.. يظهر أن الدكتور مصطفى محمود قد توقف فى قراءته عن الماركسية والاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكية الاخرى عند الخمسينات وهى الفترة التى يقول فيها إنه زار المجر ورومانيا وألمانيا وكل أوربا الاشتراكية. وإن ماراه ترك فى نفسه انطباعا سيئا وإن مطالعته لما يجرى فى البلاد الاشتراكية الاوربية أى أوربا الاشتراكية الشرقية وذلك طبعا من الصحف الغربية أعطاه الانطباع والاقتناع الكامل بأن الماركسية فى طريقها إلى الانهيار الكامل. وأنا لن أتوقف كثيرا عند هذه النقطة فهذا موضوع كبير لن يحسمه مقال للدكتور مصطفى محمود ثم ردى عليه فهذا صراع تاريخى كبير سوف يحسم على أرض الواقع العالمى المهم أن يكون الدكتور مصطفى محمود متاكدا من المعلومات التى أوردها فى هذا المجال، إذ أن إحصائيات الأمم المتحدة والواقع العالمى يكذبان المعلومات التى أوردها عن اقتصاد الاتحاد السوفيتى

والبلدان الاشتراكية الأخرى.

ويظهر أن الانهيار الاقتصادى والسياسى للماركسية هو أمل دفين فى عقل الدكتور مصطفى محمود - ولنترك صدق الماركسية وعدم صدقها علميا للتجربة التاريخية، فليس هذا موضوعا يهم الشعب المصرى حاليا - فلا أحد يرفع راية إقامة اقتصاد ماركسى فى مصر أو سلطة ماركسية سياسية، ولا الماركسية أحد البرامج المطروحة سياسيا بين برامج التنظيمات الثلاثة.. إن النقطة المطروحة على شعبنا اليوم هى الحفاظ على استقلاله الوطنى السياسى والاقتصادى واستمرار تحوله الاجتماعى التقدمى.

ولكن المشكلة الكبرى والهامة هى أن الدكتور مصطفى محمود يهاجم تحت ستار هجومه على الماركسية كل التجربة المصرية السابقة ويهاجم التأميم وبالتبعية كل منجزات التحول الاجتماعى التى تمت لصالح العمال والفلاحين - فقد اعتبر تأميم المصانع كارثة أخذت المصانع من يد خمسة أو ستة رأسماليين وسلمتها إلى مائة ألف لص فى المصانع والجمعيات لا علم لهم بالحرفة أو العمل ولذلك يجب أن تعود المصانع لأصحابها يستغلون الاف العمال، وأن تعاد الأراضى أيضا لأصحابها يستغلون الفلاحين مرة أخرى، وهذا فى نظره يسير فى خط كامل مع مبادئ الدين الإسلامى كما يقول وأعطانا تفسيرا خاصا لما يفهمه من المبادئ الإسلامية يريد أن يكون

دستورا لهذا البلد وإلا فنحن ماركسيون عملاء نستورد الفكرة من الخارج ونبتعد عن أصالتنا وحضارتنا وشخصيتنا العربية.

ولنترك موضوع الأفكار المستوردة جانبا يا دكتور مصطفى.. فنحن سعداء بأنك قد تحولت إلى مفكر إسلامى عميق الفهم للدين - وقل لنا بصراحة رأيك فى المشكلات التى تواجه بلادنا اليوم - فبلادنا مازالت تواجه احتلالا أجنبيا وتريد إنهاءه - واقتصادنا يمر بأزمة شديدة باعتراف الجميع. فمصر تستهلك أكثر مما تنتج حسب بيان وزير التخطيط فى اللجنة فى ديسمبر ١٩٧٥... ومطلوب أن تقوم مصر بالتعمير والتنمية الاقتصادية والصرف على الدفاع فى نفس الوقت ومواردها محدودة وفى ظروف مالية صعبة. كما أن التفاوت فى الدخول يزداد والأسعار فى ارتفاع جنونى والأغلبية الساحقة تتدهور معيشتها يوما بعد يوم أمام ارتفاع الأسعار وأزمات التموين.

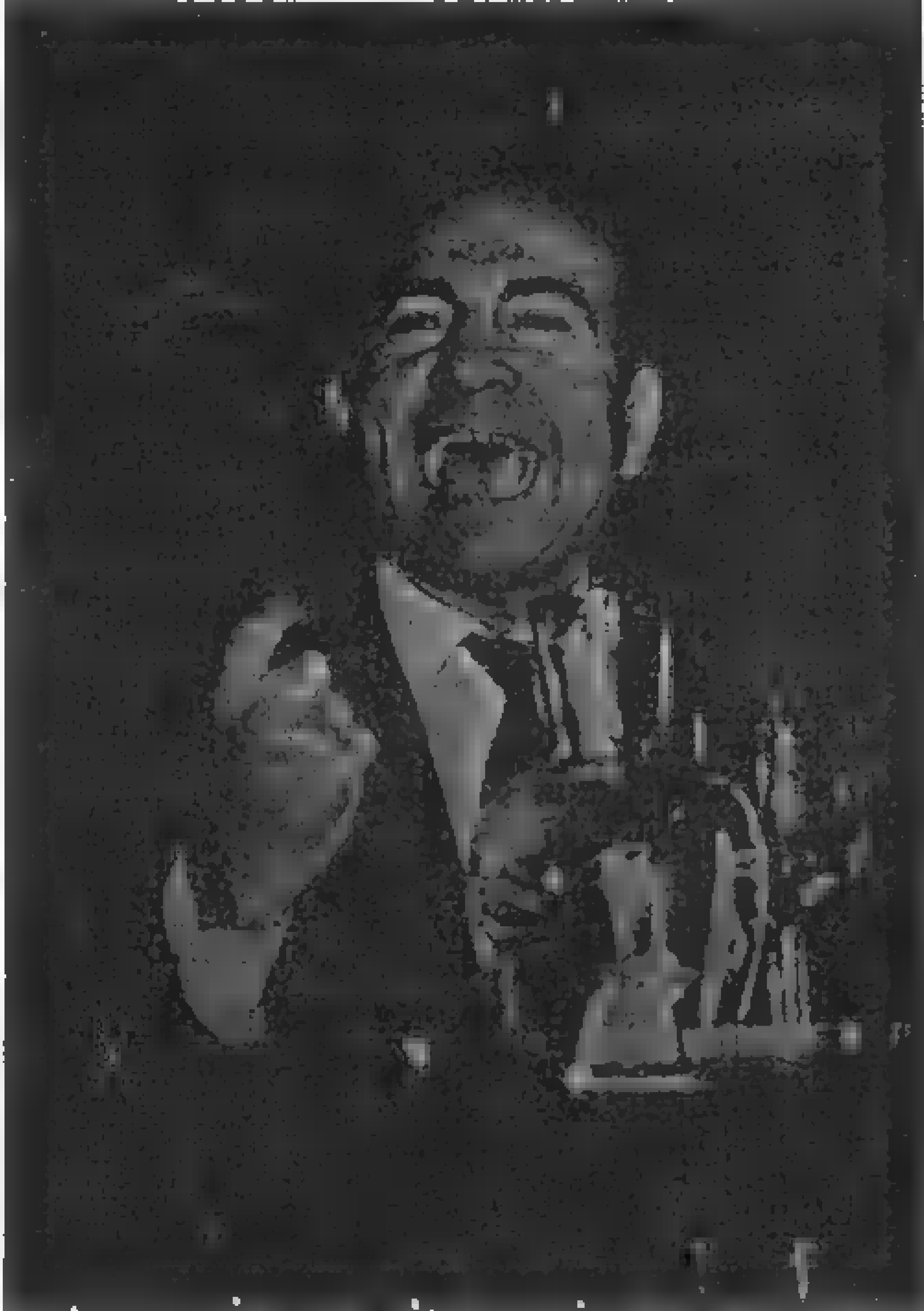
ما هو رأيك يا دكتور؟

وماهو رأيك وبرنامجك العملى لحل مشكلات بلادنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية باعتبارك مفكرا إسلاميا عميق الفهم للدين والتراث حتى نتمكن من الخروج من الأزمات الحالية.. وفى نظرنا هذا هو الطريق العملى الوحيد لإسكاتنا والاقتناع بصواب رأيك والاعتراف بأخطائنا كما تتصور.. هناك مشكلات عملية تواجه بلادنا وجماهير شعبنا -

لماذا لا تناقش الوسائل العلمية لحلها ووسائل درء الأخطار التى تهدد بلادنا مع دخول رءوس الأموال الأجنبية.

وفى اعتقادى أننا لو بدأنا النقاش العملى والجاد والمخلص لحل مشكلات شعبنا فربما يظهر إما اتفاقنا أو اختلافنا فى المناهج، ويتحدد جوهريا مع من يقف كل منا وإلى أى القوى ينتمى ويدافع.. وتعرف الجماهير فى بلادنا وهى واعية، أى المناهج هو الذى يحقق لها أهدافها وأمالها وسوف تنحاز إليه، ونحن قدمنا إلى جماهير شعبنا مشروع برنامج للخطوط العريضة للتجمع الوطنى التقدمى الذى يجمع فى صفوفه كل القوى الوطنية التقدمية الوحدوية ـ وفى تصورنا أن مشروع البرنامج يقدم الحلول والمنهج لحل مشاكل بلادنا الأساسية..

ونحن سنكون سعداء لو بدأت مناقشة برنامجنا وهو الموقف الأخير الذى يحدد أهدافنا للعمل السياسى بدلا من الدخول مع قوى الغزو الأجنبى فى هذه المعركة الموجهة إلى صدور تنظيمنا الذى أحاطته جماهير بلادنا العاملة بكل تقدير واحترام ومحبة.. وهذا فى تقديرى السبب الأكبر لفزع كل القوى المعادية للتقدم فى بلادنا والتى تصورت أن تنظيمنا سيولد ضعيفا صغيرا - وإذا به يولد قويا تحميه سواعد الجماهير وأمالها وأعطتنا الجماهير المصرية الشابة كل تقدير ومحبة ومساندة وهذا ما أفزع كل القوى الساعية إلى وقف عجلة التقدم والتى ترى فى تطبيق برنامجنا حرمانا لها من



خالد محيى الدين

الاستفادة من كارل ماركس

استغلالها البشع لجماهير شعبنا وسلب مكتسبات شعبنا التي ناضل في سنواته العشرين الماضية ليصل إليها - وهذا هو سر الحملة الشرسة التي توجه إلينا، خصوصا أن خصومنا السياسيين يواجهون عجزا متزايدا عن تقديم الحلول العلمية القصيرة المدى والطويلة المدى لإخراج بلادنا من أزمتها الاقتصادية، وليس أمامهم لإضعاف تأثيرنا على جماهير شعبنا سوى تلك الحملات السياسية الكاذبة التي توجه إلى تنظيمنا والتي تشارك أنت بوعي في تدعيمها تحت ستار الدين والدين منها براء.

فنحن لا نسعى إلى صلح انتهازي بين الماركسية والإسلام كما تقول، ولكننا نهدف مع مجموعة مفكرينا إلى فهم صحيح للإسلام وتفسير علمي عصري له تحقيقا لمطالب عصرنا في الثورة الوطنية والاجتماعية، ولا نسكت على الصلح الانتهازي بين الرأسمالية والدين، لأنه في نظرنا هو الأخطر على مكتسباتنا الوطنية والاجتماعية أمام هجمات الاستعمار الجديد والشركات العالمية الاحتكارية المتعددة الجنسية

وأنا لم أكتب مقالا عن الماركسي المسلم ولكنني قلت إن لماركس أفكارا عن الدين لا أوافق عليها واختلف معه فيها، وإن إيماني بالله لا يمنعني من الاستفادة من اكتشافات ماركس في الاقتصاد والاجتماع والسياسة وليس في الفلسفة.. أما كلمة الماركسي المسلم، فهي كلمة أطلقتها روز اليوسف على، ولكني

لم أقل ذلك – كما أننى لست شديد الحساسية من ماركسى أو الماركسية، ففى نظرى أن. الماركسية علم، وعلينا أن نسترشد بالعلم لحل مشكلات عصرنا مادمنا نحافظ على تراثنا القومى والدينى.. ونحن لا نلعن الماركسية على السجادة كما تدعى، ولكننا على السجادة لا نفعل سوى الابتهال إلى الله أن يهدينا طريق الصواب وأن يهدى كل الناس وأنت منهم طريق الصواب.. فليست السجادة مكانا للعن أى شىء، أو أى إنسان، فللسجادة آدابها وسلوكها وأنت سيد العارفين..

فنحن نهدف إلى نهضة جذرية عن طريق تفسير الدين حسب مقتضيات العصر – فالإسلام يحتوى على اشتراكية أكثر من ماركس ويسارية أكثر من اليسار.. المهم هو فهم الإسلام فهما صحيحا وتفسيرا لصالح من؟.. لصالح الأغنياء أم الفقراء، لصالح الأقلية أم لصالح الأغلبية، مع إبراز القيم الخالدة فى تراثنا، هذا ما تمليه حاجات العصر، العمل وحده قيمة الإنتاج، الملكية الاجتماعية لوسائل الإنتاج – المجتمع اللاطبقى، هذه قيم الإسلام التى تحاول الاشتراكية اليوم أن تجعلها طريقا لحل مشكلات عصرنا وبلدنا.. وبهذا نحن نسير فى طريق واحد، ولسنا مصابين بانفصام الشخصية لأننا ندافع عن مصالح الشعب المصرى وأغلبيته الساحقة، وسنكون مصابين بانفصام الشخصية إذا وقفنا إلى جانب القلة من الرأسماليين المستغلين فى بلادنا ومن خارج بلادنا إننا سنكون حينئذ غرباء فى بلادنا وهذه أول خطوات انفصام الشخصية.

المسلم كما نراه

إن المسلم الذى يحارب الظلم الاجتماعى والسياسى لهو ثابت القدم متوازن النفس، متجدد الفكر لأنه فى معركته مجاهد فى سبيل الله – أما الذى يقف مع الفئة المستغلة مع القوى الرأسمالية العالمية التى تستغل الشعوب الإسلامية فهو غير ثابت القدم، غير متوازن النفس..

وما العيب فى أن نحمل جائزة لينين للسلام وهى جائزة دولية للسلام مثلها مثل جائزة نوبل، وقد نالها من البلاد العربية أيضا، الشيخ محمد الأشمر عن سوريا وكمال جنبلاط زعيم القوى الوطنية والتقدمية فى لبنان وعزيز شريف وزير الدولة العراقى – أليس النضال من أجل السلام عملا يخدم شعوبنا العربية التى ترزح تحت نير الاستعمار والنضال الإسلامى يعادى أول ما يعادى الاستعمار، وهل حمل جائزة من قبل الشيخ محمد الأشمر وحملها وحمل أيضا القرآن.

أما كتاباتك عن الإسلام فنحن والحمد لله نعرفها ونستوعبها من قبلك بسنوات طوال.. فنحن نعرف الدين بأنه فلسفة معينة فى الحياة أو ما يسمى بالمصطلح الفقهى

العقيدة.. ويتبع العقيدة مجموعة من شعائر العبادات ومجموعة من القيم الخلقية، وكلاهما ينمو بالعقيدة وينمى العقيدة، والعقيدة وما يتبعها من عبادات وأخلاق هى جوهر الدين وأساسه، ليس من حيث الكيف فحسب، بل من حيث الكم أيضا، فهى تسعة أعشار تعاليمه أو يزيد - وهى التى تبنى الإنسان المؤمن الذى يشتعل قلبه بنور الإيمان ويمتلك ضميرا دينيا يقظا وهذا ما يميز القيادات الإسلامية الأولى فى قيادتهم لمصالح شعوبهم على أساس من المحبة والعدل. أما العشر الباقى فهو مجموعة من الأحكام ذات الجوهر الخلقى أيضا لتنظيم وضبط بعض نواحى الحياة الاجتماعية.. فإن هدى الله فى أمور الشرع (فى غير العبادات) أتى ليقرر قواعد عامة وكلية وأحكاما محدودة أشبه بمنارات على الطريق.. ولكنه لا يرسم الطريق، فالطريق نحن بعقولنا وتجربتنا وما ننقله من التجارب الأخرى مادامت تقدم لنا مصلحة وتمنع عنا ضررا ، ولكن مهتدين بهدى ديننا - نرسمه ولا يحدد لنا الخطوة، فالخطوة نحن بعقولنا - مهتدين بهدى ربنا - فنحن لا نتبع أهواء الضالين والمضللين والذين يفسرون آيات الله الكريم ويجتهدون فى تأويله وفقا لأهوائهم السياسية وصولا إلى تحقيق مصلحة خاصة. ولنتجادل معا بالحكمة والموعظة الحسنة، ولكن على أساس من الحقائق والوثائق، وليس على أساس من الادعاءات الكاذبة وغير الحقيقية، وألا يلوى عنق الحقيقة خدمة لأغراض معادية لشعبنا ووطننا فى مرحلة حاسمة من تاريخنا.

ونحن لا نفهم لماذا تنسب الدعوة لتعميق الاشتراكية وتذويب الفوارق بين الطبقات والعيشة الكريمة وحرية الكلمة والرأى والشورى بكل أصولها والمساواة والعدالة الاجتماعية، ولماذا ينسب كل هذا إلى الماركسية وحدها - وتنسى أنها جميعا فى أصول التشريع الإسلامى الحنيف وبنصوص جهاز الدستور المحفوظ وهو القرآن الكريم.. كما أنها من سنة رسول الله صلوات الله عليه وسلامه ومنهجه ومن اتبعه إلى يوم الدين.

هذا آخر رد

إن من أثمن خصوصيات الإنسان عقيدته ووطنيته. والناس جميعا عبيد لله وله سبحانه القول الفصل فينا جميعا والحكم العدل، فهو يعلم السرائر جميعا وأكثر الجاهلين بالدين هم الذين ينصبون أنفسهم أولياء على الغير يكفرونهم حينما شاءوا ومتى تقودهم إليه مصلحتهم.

ولهذا قررنا أن تكون هذه آخر حلقة للنقاش معك يادكتور.. إلا إذا أردت النقاش فى سياسات محددة لإخراج بلادنا من أزماتها السياسية والاقتصادية والثقافية - فهنا نحن مستعدون للسير معك إلى آخر الشوط من أجل شعب بلادنا،

إذ أننا مشغولون بإتمام التجربة الديموقراطية فى بلادنا دفاعا عن حرية الرأى ومصالح الجماهير.. أما غير ذلك من الأوهام والتصورات والمعارك الوهمية فمثلها كمثل طواحين الهواء، فلن نعود إليها ولا نريد أن نكرر ماقلناه لك ولغيرك فى هذا المجال.

وفق الله الجميع إلى مافيه الخير والتقدم للوطن والمواطنين.

الفصل الثالث

د. مصطفى محمود يرد على خالد محيى الدين

هذه لعبة الموت يا رفيق

عزيزى خالد...

سعدت جدا بمقالك والحق أنى عــذرتك فى ردك الحــامى وما تدفقت به من تهم على شخصى الضعيف أمثال الســطحية الشديدة وعدم القراءة والزعم بــأنى طــالبت بــرد الأراضى للإقطاعيين ليعاودوا استغلال الفلاحين (وهو افتراء فما قلــت هذا أبدا)، ثم الادعاء بأنى ضالع مع قوى الغزو الأجنبــى فى المعركة (وهو بلاغ لنيابة أمن الدولة لاعتقالى على طــريقتكم المعروفة والمألوفة فى مخاطبة كل من يخالفكم) والحمد لله على أنك لم تتسلم الحكم بعد وإلا لشفعت القول بالعمل ولكنت الآن نزيل زنزانة بالسجن الحربى ثم دفنيــا مــرحوما فى صــحراء العباسية تحت الرمال مع جماجم عهدكم المبارك السالف.

أقول إنى عذرتك.. فقد أفلست بضــاعتكم تمــاما ونفــق

الحصان الذى كنتم تراهنون عليه.. وليس صحيحا ما ادعيت بأن الماركسية هى حصان طروادة الذى يركبه الجميع حيلة وخداعا فلم يعد أحد يركب ذلك الحصان أبدا وإنما أنتم تركبون حصان الإسلام الرابح وباعترافك عدد الماركسيين فى مصر خمسمائة.. وعجبى لك تتبرأ من الماركسية ثم تدافع عنها وأنت تعلم قبل غيرك أنها غير مطبقة فى أى بلد وأنها انحسرت عن أوطانها وأراضيها.

ولقد عذرتك مرة أخرى فالاسم الجديد الذى تنكرت تحته الماركسية وتجمع حوله الرفاق القدامى وهو الاشتراكية مالبث أن ابتذله الخصوم والانصار حتى فقد معناه تماما ولم يعد يعني شيئا.. فهتلر يسمى حزبه الفاشى الحزب الاشتراكى، وموسولينى يسمى حزبه الفاشى الحزب الاشتراكى وإنجلترا تسمى حكمها الليبرالى اشتراكية وفرنسا تهاجم السويس فى حرب ٥٦ تحت راية حزبها الاشتراكى الذى يتزعمه جى موليه فى حلف ثلاثى مع إسرائيل وإنجلترا.. ثم روسيا اشتراكية والصين اشتراكية ويوغوسلافيا اشتراكية والثلاثة يتبادلون السباب فى الإذاعات ويكذبون بعضهم بعضا.. والبعث العراقى اشتراكى والبعث السورى اشتراكى وكلاهما يهاجم الآخر ويتهمه بالخيانة.

لقد انتهت الاشتراكية إلى مجرد كلمة مفرغة من المحتوى يستعملها جميع الفرقاء لجميع المعانى المتناقضة.. وأصبحت



خرشوف

البقرة التى يملكها صاحبها تدر من اللبن

أكثر من البقرة التى تملكها الحكومة

تدل على الشيء وعلى ضده وتعنى الشيء كما تعنى نقيضه.. وأصبحت علامة اختلاف لا اتفاق فيه أبدا، وأينما دخلت فى أى بلد دخل وراءها الدم والرصاص..

فإذا انتهت حالك أيها الرفيق الاشتراكى إلى هذه العصبية فأنت معذور فواقع الاشتراكية فى العالم الآن مختلط.. وكلمة الاشتراكية ذاتها تحولت إلى وعاء للدجل وقناع يتنكر فيه المزيفون من كل الملل والنحل.

ولقد رأينا الاشتراكية تلبس ثوبا مسيحيا فى أوربا (الحزب الاشتراكى المسيحى) ثم طلعت علينا فى مصر بثوب إسلامى بقيادة سيادتك.

ونحن معذورون تماما يا رفيق إذا أصابنا البهت والحيرة فقد عرفنا دعوتكم الاشتراكية عالمية أممية وعرفناها فوق القوميات والطوائف والأديان والأوطان ومتجاوزة لها جميعا فما الذى جرى فى الدنيا وكيف انحدر بها الحال إلى لبس هذه الثياب المتواضعة وإلى قبول كل تلك التنازلات.

وما هذه القرارات التى طلع علينا بها مؤتمر الأحزاب الشيوعية لهذا العالم ١٩٧٦؟

إنها قرارات تنازل عن كل مبادئ الماركسية فى سبيل الفوز بكراسى الحكم.

إن القرارات تقول بصراحة:

حاولوا الوصول للحكم بأى سبيل.. وإذا وقفت فى سبيلكم مبادئنا الخاصة بديكتاتورية البروليتاريا فدوسوها.. وإن احتج عليكم القوميون فصالحوهم وقولوا لهم نحن قوميون مثلكم.

اسلخوا جلدكم.

تلونوا مع كل موجة لتقفزوا إلى الحكم.. الحكم.. الحكم.. الحكم.. يا رفاق.

ولتذهب المبادئ إلى الشيطان.

أليست هذه القرارات هى إعلان وصولية صريح ومرسوم ميكيافيلية موقع عليه من كهنة معبد موسكو.

لقد كنا نحترمكم حينما كانت لكم مبادئ نناقشكم فيها بالعقل والعلم.

أما وقد سلختم جلدكم وتنكرتم لنظرياتكم.. فماذا بقى لكم من شخصية أو احترام.

وماذا يفرقكم الآن عن أى عصابة من المغامرين من هواة السلطة ومن عشاق الكراسى..

وسوف أصدقك على أن لك موقفا خاصا وإنك تنتقى من الاشتراكية الأم فتأخذ وتدع.. وإنك اخترت من الاشتراكية الأم مبدأ ملكية الدولة لوسائل الإنتاج (أو التأميم الشامل) ونبذت الفلسفة المادية وتفسير التاريخ والمادية الجدلية.. وهو

كلام متناقض.. لأن فكرة نزع الملكيات من الناس وتأميمها مرتبطة عند ماركس بتفسيره المادى للتاريخ ومؤسسة على منهجه الجدلى، وكل حلقة من هذه الحلقات آخذة برقبة الاخرى فى تسلسل.. فأنتم تنزعون أدوات الإنتاج من أيدى الناس لأن أدوات الإنتاج مرتبطة عندكم بأفكار وأخلاقيات وأديان.. فإذا نزعتم هذه الأدوات نزعتم معها الأفكار والاخلاقيات والأديان التى تتبعها.. فالمسائل عندكم مترابطة سواء اعترفتم أو أنكرتم.. والشمول خاصية من خاصيات الاشتراكية العلمية.

ثم إن نزع الملكيات الشامل لا وسيلة له إلا المصادرة والعنف والاعتقال والقهر والعسف فلا أحد سوف يعطى رقبته اختيارا.

والاشتراكية العلمية وهى الاسم الآخر للشيوعية هى بذلك نوع من المضاربة على مجهول، فهى تأخذ منا الحاضر من أجل غد لم يأت بعد، وهى تبدد حياتنا الحاضرة فى أشكال من المصادرة والاعتقال والقهر والعسف فى سبيل وعد غيبى بمستقبل لا يتحقق أبدا.

وكل مبدأ شمولى يحمل معه بالضرورة عنصر إكراه.. فالناس غير قابلين للصب فى قالب واحد إلا أن يكون ذلك إكراها وعسفا.. فما قولك فى قانون ينزع الملكية من كل الناس لا يفرق بين عامل وخامل ثم يوظف كل الناس لا يفرق بين

كفء وغير كفء، ثم يضع أرزاق كل الناس فى يد الحكومة «الحاكم» ويحول الشعب بقرار إلى عبيد لقمة لا يملكون إلا «مرتب» أول كل شهر.

أليس محتكر الخبز هو بعينه محتكر الحرية؟ أليس هذا هو كلامكم؟.

فكيف تمنون الناس بالحرية ثم تحتكرون خبزهم ولقمتهم بالتأميم الشامل؟.

وأنا بهذا أرد عليكم بنفس كلامكم.

أليس هذا هو اكتشاف ماركس الذى تتشدق به يا رفيق.. وتتشدق بأنك تضعه على رأس مخططك وهو ملكية الدولة لوسائل الإنتاج أو التأميم الكامل الشامل؟.

ولعلمك لم يكن هذا اكتشافا ماركسيا فقد عرف محمد على من قبل مبدأ التخطيط الشامل ونفذ ملكية الدولة للقطاع الاقتصادى فى عصره، كما أورد أفلاطون هذا المبدأ فى جمهوريته منذ ألفى سنة.

كما سبقك إليه من المسلمين فرق منحرفة مثل القرامطة والخرمية.. نادوا بالشيوعية وخربوا البلاد وظلموا العباد.. ثم هلكوا مع من هلك من أمم ظالمة وهلكت معهم أفكارهم.. وهؤلاء حاولوا استخدام القرآن كما تحاول أنت استخدامه وطوعوه لأهواء عصورهم كما تريد تطويعه وكما تقول بالحرف فى مقالك.

نحن نهدف مع مجموعة مفكرينا إلى تفسير عصرى للقرآن يحقق مطالب عصرنا فى الثورة الوطنية.. إلخ

وفى مكان آخر تطالب بتفسير الدين حسب مقتضيات العصر

وتنسى كمسلم أن العصر لا يحكم على القرآن بل القرآن هو الذى يحكم على العصر.. وأن القرآن يفسر تبعا لمقتضيات القرآن ذاته وليس تبعا لأهواء العصر.. وأن العصر الذى نعيشه وقد تدنى إلى جاهلية مادية لا يصلح أن يكون حكما يفرض مقتضياته على كلام الله وحكمه.

ثم من هم مجموعة مفكريكم الذين سيشرحون لنا القرآن الكريم؟

لقد فهمت من مقالك أن عندكم هيئة كبار علماء خاصة تعكف الآن على دراسة القرآن واستنباط الشيوعية وملكية وسائل الإنتاج من آياته الكريمة.. وهو خبر طريف جدا.

وسوف نزداد شرفا بالتعرف على هذه الهيئة.. ومنكم نستفيد.

ولاشك أننا مندوبون جميعا لفهم ما يقوله القرآن لعصرنا وهذا ما حاولته فى كتابى «فهم عصرى» ولكن إخضاع آيات الله وكلماته لمقتضيات العصر وتفسيرها تبعا لمقتضيات العصر مفهوم آخر خطير.

ويبدو من مقالك أنك مسلم رقيق جدا تتأفف من لعن الباطل

على السجادة وتقول إنك تستخدم السجادة فى أغراض أخـرى مثل المحبة والدعوة بالهدى للجميع.

دعنى أسألك إذن من هم «المغضوب عليهـم والضـالون» الذين تتبرأ منهم أكثر من عشرين مرة كلما تلوت الفاتحة على السجادة.. أم أنك تصلى صلاة أخرى غير صلاتنا وتتلو فاتحة أخرى غير فاتحتنا.

ثم من هم الذين قال عنهم ربنا (أولئك جزاؤهم أن عليهـم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) [٨٧ ـ آل عمران]. حتى الملائكة لم يتأففوا من لعن الباطل والمبطلين.

والناس أجمعون وجبت عليهم لعنتهم، والدين هو الاشـادة بالحق ولعن الباطل.

وما أهل الباطل سوى المبطلين الماديين المنكرين الـذين قالوا :

(ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) [٢٤ ـ الجاثية].. فانكروا ما وراء هذه الحياة وما وراء هـذه اللحظة.

ولما لم يجدوا غير حياتهم ولحظتهم اقتتلوا عليها بالمخلب والناب..

هؤلاء الذين رفضوا دينك وقاتلوا أنبياءك.. ماذا لهم عندك..



دوبتشك

اجتياح تشيكوسلوفاكيا بالدبابات لقهر الشعب سنة ١٩٦٧

لعل لهم بطاقة عضوية فى منبرك.. فأنت تدافع عنهم من طرف خفى قائلا:

وماذا يخيفك من خمسمائة أو ألف ماركسى.. وماذا يمكن أن تصنع أقلية هذا عددها فى أربعين مليونا؟.
ولن أذكرك بأن لينين وأتباعه استولوا على الحكم بالتآمر مع الالمان وباستخدام القوة المسلحة وكانوا بضع مئات بين ٢٠٠ مليون روسى.

وكذلك الأحزاب الشيوعية فى أوربا الشرقية قفزت إلى الحكم وهى أقلية من مئات بمساندة الاتحاد السوفيتى.

ومن هى الطائفة التى قفزت إلى الحكم فى عدن أليست هى الطائفة الاقلية؟.

ومن هو الحزب الحاكم فى سوريا.. أليس هو الطائفة الاقلية؟.

إن ألف مسلح فى هذا العصر التآمرى يمكن أن يضيعوا مستقبل أمة وأن يستذلوا شعبا .. والأمثلة حولك.. ومن ورائك.. ومن أمامك.

ثم هم ألف ماركسى أخلوا أنفسهم من قيود الأخلاق والدين وأعلنوا فى كتبهم أن الأخلاق والدين ما هما إلا بناء فوقى يتغير مع البناء التحتى.. إلى آخر هذه الترهات التى ضحكوا بها على الناس وبرروا بها لانفسهم التجرد من كل ولاء أو

ارتباط سعيا وراء قلب العالم وتغييره.

هذه المسوح العقائدية بما تضحك به على الشباب الرافض وبما تستقطب من أحقاد وأضغان يمكن أن تدمر العالم كله وليس أمة وحدها.

ثم ما حيلة الشعوب أمام أجهزة إعلامية تكذب وتكذب وتكذب وإذاعات وجرائد ومجلات وكتب تكذب وتكذب وتكذب وتكذب ليل نهار.. دون أن يجد أحد فرصة لرد.

ثم أنظمة تمارس الدكتاتورية البشعة.. ثم تهتف ليل نهار بأن الحكم للشعب والأمر للشعب.

وإذا كان الحكم للشعب فلماذا كان الغزو العسكرى للمجر برغم الشعب سنة ١٩٥٦. ولماذا كان اجتياح تشيكوسلوفاكيا بالدبابات لقهر الشعب سنة ١٩٦٧.

ولكنه الكذب والكذب والكذب.

وفى دفاعك عما أنجزته روسيا ودول أوربا الشرقية أجاويك بأنه لا يصح النظر إلى أى إنجاز معزولا عن الثمن الفادح الذى دفع مقابله.. ولا يجوز النظر إلى عمل دون النظر إلى تكلفته.. فإذا تجاوزت التكلفة الأرباح فالنتيجة خسران..

وإذا أقمنا أعظم صناعة وهدمنا إنسانية الإنسان وسحقنا حريته وأهدرنا كرامته فقد فشلنا وما نجحنا.. وتأخرنا وما تقدمنا..

وإذا اختنق الابداع.. فما أكثر ما تخسر الإنسانية.

ودعنى أسألك.. هل هى مصادفة أن كل التحولات الإبداعية فى الصناعة وكل الاختراعات التى غيرت مجرى التاريخ خرجت من الغرب الرأسمالى.. أكانت مصادفة أن البخار والبترول والكهرباء والالكترونات والذرة خرجت من الغرب الرأسمالى.

ولماذا لم يخرج من الشرق الشيوعى اختراع واحد من الوزن الذى يغير مجرى التاريخ ويقلب علاقات الإنتاج؟ مجرد سؤال.

أما اللعب على حكاية الفقير والغنى واستثمارمشاكل البلد والركوب على حصان أوجاع الناس والمزايدة فى الوعود.. وهى اللعبة المحببة لكل فرق اليسار فهو أسلوب غير كريم وغير إنسانى.. وهو الحق الذى يراد به دائما الباطل.

وهذا يقودنا إلى مربط الفرس.. حينما سألتنى.. وماذا عندك من حل.. وما المخرج.. وما العمل؟..

ولعلك تصورت بسؤالك هذا أنك أوقفتنى وظهرى إلى الحائط.. وأنى لن أجد أمامى إلا التسليم بالحتمية الخرافية التى تتغنون بها.. حتمية الاشتراكية العلمية.

وقد سبق أن شرحت فى كتابى «الماركسية والإسلام» كيف أن الاشتراكية العلمية غير علمية، وكيف أن صفة العلمية

ليست أكثر من بطاقة ترويج ودعوى مزعومة لا تصمد للتحليل.. فكارل ماركس لم يقم بحصر للتاريخ، بل قام بانتقاء ما يوافق هواه ونبذ ما يخالف منهجه من مراحل التاريخ، فلا يصح إطلاق كلامه على التاريخ كله.. ثم لو كان منهجه علميا بحق وصادقا بحق للزم أن تصدق نبوءاته وقد كذبت كلها.. ثم إن الموقف العلمى الآن هو أبعد ما يكون عن تبسيط المسائل وتسطيح التاريخ فى صورة عامل واحد تتداعى من خلفه المؤثرات كما تصور ماركس.. وإنما النظرية السائدة اليوم هى نظرية تداخل العوامل وتعددها وتبادلها التأثير..

ثم من كان موجودا أول الخلق ليقول: فى البدء كانت المادة..

هذا كلام ظنى غيبى ولا علمية فيه.

وبالنسبة لقضية الحتمية فلا مكان عندى لأى حتمية فى الأمور الإنسانية فلسنا كرات بلياردو ولا تروس آلة.. وأمامنا دليل من الواقع فى نظامين كلاهما بدأ من الصفر.. الصين خرجت من حضيض الأفيون إلى القنبلة الهيدروجينية بمنهج اشتراكى ـ واليابان خرجت من دمار هيروشيما وناكازاكى إلى ذروة القوة الاقتصادية بمنهج رأسمالى.. فلا حتمية إذن.. بل هناك أكثر من طريق للخروج من حضيض التخلف.. إنما المطلوب الصدق والجدية وتشمير السواعد.

وعلى كل أمة أن تختار حسب تكوينها وتراثها وظروفها.

وأنا أرى أن مصر بالنسبة لتكوينها الحضارى والتراثى والعقائدى تقع فى منطقة الوسط بين المنهج الرأسمالى والمنهج الشيوعى.. والإسلام ذاته كمنهج اقتصادى يقع فى موقع متوسط بين الرأسمالية والشيوعية.. ليس وسطا بالمعنى الحسابى. ولكنه وسط نوعى يختلف فى أصوله وفروعه ومنطلقاته عن الرأسمالية والشيوعية معا، فهو وإن اتفق مع الرأسمالية فى حرية الفرد فى التملك والاستثمار فإنه يختلف فيما يمكن أن تتفرع عنه هذه الحرية من استغلال واحتكار، فالإسلام يرفض الاستغلال والاحتكار ولكنه يسمح برأسمالية وطنية خاضعة للتوجيه وللضرائب التى يستوجبها الضمان الاجتماعى.. والإسلام بالمثل يختلف عن الشيوعية فى الأصول والفروع والمنطلق، فهو ضد ملكية الدولة لوسائل الإنتاج وما يتبعها من تأميم شامل ومن احتكار لخبز الجميع فى يد الحكومة والحاكم لأنه يعنى احتكار الحرية بالتبعية.. وإذا كانت الشيوعية تلجأ إلى هذه الوسيلة فى التأميم الشامل انطلاقا من الرؤية المادية للتاريخ وانطلاقا من مفهومها الخاص فى الصراع الطبقى، فالإسلام لايرى هذه الرؤية المادية للتاريخ كما أنه ضد هذا المفهوم للصراع الطبقى.

إنما ينطلق الإسلام من نقطة وفاق واتفاق وأخوة وتعاون بين الأغنياء والفقراء، وليس من نقطة تباغض وتحاقد وذلك



تروتسكى

الحقد هو سلاحنا لقلب العالم

بأن يدفع الأغنياء حق المال، وأن يدفعوا ما تقتضيه الخدمات الاجتماعية من ضرائب مهما بلغت.

كما ينطلق المنهج الإسلامى من نقطة التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجموع، فيرى أنه يمكن أن يتعايش قطاع عام وقطاع خاص.. ملكية عامة وملكية خاصة، فلا يطغى الفرد على المجموع فيستغل ويحتكر، ولا يطغى المجتمع على الأفراد فيسحقهم ويحولهم إلى قطيع من الموظفين فى نظام مؤمم شامل.. وبهذا المعنى يرى أن يقتصر التأميم على القطاعات الحيوية مثل البترول والصلب والسكك الحديدية والبريد والمواصلات.. وتفسح الأنشطة الاقتصادية الأصغر من ذلك لمساهمة الأفراد تحت توجيه الدولة تفرض عليها ما تقتضيه الخدمات الاجتماعية من ضرائب مهما بلغت.

والمنهج الإسلامى بهذا المعنى أقرب ما يكون إلى الاقتصاد الحر الموجه المأخوذ به فى بلاد مثل إنجلترا والسويد والنرويج والنمسا حيث الحرية الاقتصادية موجودة بضوابط، كما أن تدخل الدولة وهيمنتها بالتأميم والإشراف والتوجيه قائم بضوابط.. ومعيار القياس والحكم يظل دائما بلوغ التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع لا يضحى بواحد منهما من أجل الآخر.. وإنما تتعاون المصلحتان فى قيادة سفينة الإنسان إلى أحسن الثمار.

وبذلك نكون قد أخذنا حسنات النظامين (الرأسمالى

والشيوعى) دون أن نقع فى مساوئهما ودون أن نشقى بعيوبهما.

وأنا لن أسمى هذا الوسط الإسلامى (اشتراكية) تفاديا للخلط والالتباس الذى أصبحت تؤدى إليه هذه الكلمة الخادعة التى تعددت معانيها بسوء الاستعمال فأصبحت تدل على الشيء وعلى نقيضه،وتعنى الشيء وضده.. وإنما سوف أقول إن هذا «الوسط» هو العدالة الاجتماعية كما أتصورها.. والمعانى أهم من الألفاظ وأقطع فى الدلالة.

وعن ملكية الأرض أقول إن تحديد الملكية بالصورة الحالية هو الحل الوسط المقبول بين الاقطاع السابق البغيض وبين تعرية الفلاحين عن أراضيهم وتجميعهم فى تعاونيات بشكل يتنافى مع فطرة الفلاح وطبعه.

وسيكون معيار الحكم دائما هو بلوغ نقطة التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجموع.

وهذا هو معنى الصراط المستقيم فى الإسلام.. (الوسط العدل) بين طرفين كلاهما تطرف.. يقول ربنا: (وإن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) [١٥٣ الأنعام].. ولهذا لا يعرف الإسلام يمينا ولا يسارا، فالحق واحد ولا يوجد حقان.. ومن خرج عن هذا الحق باليمين انحرف ومن خرج عنه باليسار انحرف.. وليس على يمين الحق ولا عن يساره إلا الباطل.

ولم تكن حرب اليمين واليسار فى بلادنا إلا بعض أساليب

التفريق والفتنة التى ابتلانا بها الاستعمار.. وهو تفريق لم يكن يبدأ حتى يتفاقم فلا ينتهى.. فهناك فى البداية يمين ويسار.. ثم يعود اليسار فينقسم إلى يسار معتدل ويسار متطرف.. ثم يعود اليسار المتطرف فينقسم إلى يسار صينى ويسار روسى.. وهكذا تظل القسمة تتفاقم وكل يسار ينشق عنه جناح أشد منه يسارية حتى تنشق الامة كلها إلى شراذم وتتفتت إلى برادة ومسحوق لا وزن له.. وأفراد يقتلون بعضهم بعضا بلا سبب مفهوم كما نرى الآن فى لبنان وكما رأينا فى البرتغال وشيلى ونيجيريا وأنجولا وأسبانيا وإيطاليا.. والبقية تأتى.. حتى تقوم القيامة على عالم غابة يقتل كل واحد فيه الآخر وينتهى العالم غابة كما بدأ غابة..

وإذا قلنا إن كل المسلمين يسار فأى يسار نقصد.. اليسار اللينينى أو اليسار الستالينى أم اليسار الماوى.. وهل سيدنا محمد تيتوى أم ناصرى.. أضحكتمونا يا سادة..

وهل هى هداية للمسلمين أن نخرجهم وهم الجمع المؤتلف لنلقى بهم إلى هذا الامر المختلف الذى انقسم أصحابه فرقا تقتل بعضها بعضا..

أحرام هذا أم حلال يا أهل العقول ودعاة الفهم العلمى..؟

ترى هل أنا واضح..

وهل أجبتك...

أم سوف أقرأ فى الغد افتراءات عن يمين وشمال بأنى طالبت بإعادة الارض إلى الإقطاعيين وأنى رأسمالى احتكارى استغلالى رجعى أتستر خلف الدين وأطالب بإلغاء الإشتراكية إلى آخر هذه الاتهامات التى احترفها أصحابكم..

صدقنى.. لن يهمنى..

فأنا أعتقد أنى وضحت نفسى تماما.. وأنى صريح قاطع مثل شعاع شمس أغسطس..

ولك محبتى يا رفيقى..

هامش على المشكلة

كلهم يعبدون العجل

يخطئ من يقسم العالم إلى معسكر شرقى ملحد ومعسكر غربى مؤمن.

وساذج من يصور لنفسه أن هناك حضارة مادية فى روسيا وحضارة من نوع آخر فى أمريكا.. فالحقيقة أن كليهما يدين بدين واحد وهو عبادة المادة.

الكل يعبد العجل الذهب ويحرق له البخور ولكن أحدهم يمسكه من ذيله والآخر يمسكه من رأسه.

الحضارة السائدة اليوم هى حضارة مادية ملحدة بشقيها: الرأسمالى والشيوعى.. كل الفرق أن الحريات المتاحة للأفراد تتفاوت فى الجانبين.. ويستطيع بعض المجانين فى بعض الأماكن مزاولة الدين والترويج له والدعوة لأفكاره والخروج عن الصف هنا أو هناك دون مطاردة من السلطات.. ولكنهم

مغلوبون على أمرهم فى النهاية فى الشرق وفى الغرب بحكم التيار المادى السائد.

بل إن أكثر المروجين للدين هم طلاب مادة ولابسو أقنعة ودجالون فى هذا الحفل التنكرى والكباريه العظيم الذى يرقص فيه الكل رقصة المليون دولار..

نحن نعيش جاهلية مادية ذات أنياب ذرية ومخالب إلكترونية.. ونعاصر نوعا متطورا من الفساد يستخدم التليفزيون والراديو والسينما والمجلة والكتاب وأحدث مستحدثات العلم فى ترويج أكاذيبه.

ومن السذاجة أن يتصور بعضنا أنهم فى الشرق أصدقاؤنا وفى الغرب أعداؤنا أو يتصور آخرون العكس أنهم فى الغرب أصدقاؤنا وفى الشرق أعداؤنا.. فالحقيقة المؤسفة أنهم كلهم الآن دول كبرى.. يعيشون بمنطق الدول الكبرى وليس بمنطق أى مبادئ أو نظريات.

الكل يستعمرنا بوسيلة أو بأخرى.. بالمذهب أو بالاقتصاد أو المؤامرات.. أو بالسلاح يبيعونه ثم يؤلبون طائفة منا على الأخرى لنقتل بعضنا بعضا فيضربون بذلك عدة عصافير بحجر واحد.. يستردون عائدات البترول التى دفعوها لنا بالعملة الصعبة.. ويشغلون مصانعهم.. ويعالجون البطالة الزائدة فى بلادهم بالعمل فى تلك المصانع.. ويشتتون جموعنا فلا تتفق

أبدا على كلمة.. ويقتلون الصفوة العربية المتحمسة بأيدى صفوة أخرى عربية متحمسة.. ثم يتبادلون الأنخاب من فوق رءوسنا على ما أحرزوه من نجاحات فى عالم البقر الذى هو العالم العربى المنكود بطلائعه المتخلفة.

ويخطئ البعض ويتصور أن الحل هو أن نرفض هذا العصر.. أو أن نرفض هذه الحضارة بتمامها.. وهى جريمة لا تقل خطرا عن قبول هذه الحضارة بتمامها..

والحقيقة أن هناك جانبا إيجابيا فى هذه الحضارة لابد من قبوله واستيعابه.. وهو العلم بمنجزاته الصناعية والتكنولوجية.

والعلم محايد..

لا يوجد علم شرقى ولا علم غربى.

ولا يوجد علم شيوعى وعلم رأسمالى..

الحقائق العلمية واحدة.

البخار ليس يمينيا.

والكهرباء ليست يسارية..

العلم تراث إنسانى عام لابد من تحصيله كله ومن منابعه ومراجعه الأصلية وذلك هو الجانب الإيجابى من حضارتنا.

أما الجانب النظرى والفلسفى والسياسى فهو الأمور التى يجب عرضها على العقل وفرزها ونقدها وتحليلها.



فرويد

لم ير من النفس إلا جانبها المادى الحيوانى

وهذه الأمور هى التى يبسط عليها الفكر المادى ظله الثقيل الكثيف.. وما أكثر ما نقرأ فى هذه الأمور من بطاقات علمية موضوعه على سلع فكرية وهى لا تمت إلى العلم بسبب.. فنقرأ مثلا كلمة (علوم ماركسية) وهى كما شرحنا سابقا ليست بعلوم ولا ينطبق عليها الشرط الواجب فى العلوم.. فهى ظنية غير موضوعية ومستقاة من مادة تاريخية هى بدورها ظنية وغير موضوعية.

ومن هذه الأمور أيضا «علم النفس».. وهو ليس بعلم على الإطلاق ولا ينطبق على بحوثه التى قدمها فرويد وأدلر وغيرهما شروط العلم الواجبة.. فلا هو يقينى ولا هو موضوعى بل هو مجموعة نظريات وفروض وتخمينات اختلف فيها أصحابها وتناقضوا وكذب كل منهم الآخر.

ثم نرى الفكر المادى يبسط ظلاله على هذه العلوم النفسية المزعومة ويلفها فى غلالة كثيفة من العمى وقصر النظر.

فعلم النفس يتصور النفس الإنسانية تصورا ماديا بحتا فهى مجموعة غرائز تطلب الإشباع المادى العاجل فى دنيا مادية ثم لا شىء وراء ذلك.. لا روح ولا إله.. ولا غيب من وراء هذا الواقع المحسوس.. ولا شىء من وراء هذه الدنيا المادية الكثيفة الغليظة.

والإله الحاكم فى هذه المملكة النفسية هو مجموعة الغرائز

القابعة فى اللاشعور ومجموعة الأشواق التى تراكمت فى سنوات الطفولة الأولى.

والإنسان بناء على هذه النظرية مدفوع دائما بقوى لا معقولة وملقى به نحو أفعال قهرية لا تبصر فيها ولا روية.. وهو مغلوب على أمره لا حيلة له ولا مخرج.. وكل ما يملكه العقل هو أن يحاول تبرير هذه الرغبات البهيمية والبحث عن وسائل مقبولة لإشباعها أو التسامى بها ليزاولها بصور أجمل..

وقد استخرج فرويد وأصحابه هذه النظريات من دفتر مرضى الهستيريا والنورستانيا فى عنبر الأمراض النفسية ثم عمموها على الأصحاء والأسوياء.

أما علماء النفس اليوم فيستخرجون نظرياتهم من إحصاءات وملاحظات تجريبية فيما يعرف الآن بعلم النفس التجريبى.

وعلم النفس التجريبى هو كذبة أخرى كبرى فالنفس بطبيعتها ذات كلية ولا يمكن تحويلها إلى موضوع أو تشريحها تحت المجهر.. وهى بالتحليل والتشريح تصبح شيئا آخر غير النفس الحيّة المطلوب فهمها.

والنفس بطبيعتها تتفلت وتستخفى وتستعصى على التجريب.

وإذا اقتطعت من النفس جانبا فى عملية التحليل فإن ما تراه لا يكون هو النفس، لأن النفس كل لا يقبل التجزئة وواحد لا يقبل القسمة.

وكل هذه الأخطاء هى ثمار النظرة المادية المحدودة إلى النفس التى لا ترى من النفس إلا الجانب الحيوانى الفسيولوجى

وهو عين ما فعله كارل ماركس حينما تصور أن التاريخ عربة تحركها المصالح المادية والقوى المادية وحدها.. وأن حركة التاريخ هى دائما ثمرة الصراع بين طمع الأغنياء وحقد الفقراء إلى آخر ما حكيناه عن الصراع الطبقى

وهذا التصور المحدود والأفق الضيق المسدود هو الذى أدى بالاثنين إلى اعتساف الفروض والتخريجات.. وهو الذى أدى بالاثنين إلى تلفيق ما قالاه عن النفس والتاريخ.. وهو الذى انتهى بالاثنين إلى اعتساف الأدلة وتزييف البراهين

وهذه النظرة هى التى صبغت فكر الغرب وفلسفته وسياسته وفنونه.. وهى المسئولة عن ذلك الجانب المظلم من القمر (قمر الحضارة العلمية).. حيث يضيء وجه العلم والصناعة والتكنولوجيا على حين يظلم الوجه الآخر بطغيان المادية والالحاد.

وفى موجة انبهارنا بالحضارة الأوروبية خلطنا بين الوجهين فلم نعرف أيهما يحمل لنا التقدم وأيها يحمل لنا التأخر.. وتصورنا أن كل ما يأتينا عبر البحر هو طوق نجاة وبشير إنقاذ

وكانت هذه كبرى أخطائنا

وهو ما يجب أن نتداركه من اليوم.. فنعرف ماذا نأخذ وماذا ندع.

صدر للمؤلف

٤١– الطوفان
٤٢– الأفيون
٤٣– الوجود والعدم
٤٤– من أسرار القرآن
٤٥– لماذا رفضت الماركسية
٤٦– نقطة الغليان
٤٧– عصر القرود
٤٨– القرآن كائن حَيّ
٤٩– أكذوبة اليسار الإسلامى
٥٠– نار تحت الرماد
٥١– المسيخ الدجال
٥٢– أناشيد الإثم والبراءة
٥٣– جهنم الصغرى
٥٤– من أمريكا إلى الشاطئ الآخر
٥٥– أيها السادة اخلعوا الأقنعة

• مجموعة المؤلفات الكاملة •

قصص مصطفى محمود	صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢ .
روايات مصطفى محمود	صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢ .
مسرحيات مصطفى محمود	صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢ .
رحلات مصطفى محمود	صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢ .

حازت رواية «رجل تحت الصفر» على جائزة الدولة لعام ١٩٧٠

رقم الإيداع		١٩٨٤ / ٣٦٠٢
الترقيم الدولى	٩٧٧–٠٢–٠٨٩٧–٣	ISBN

١ / ٨٣ / ٢٨٧

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)